مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 20 / العدد: 03 / السنة: 2021 ص ص:273-287

المرجعية الشعبية في الدراسات السوسيو أنثروبولوجية

Popular reference in socio-anthropological studies.

باشيخ أسماء

جامعة أحمد دراية أدرار (الجزائر)، asma.bachikh@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/005/03 **تاريخ القبول:** 2021/09/30 **تاريخ النشر:** 2021/09/30

ملخص:

يحاول هذا المقال عرض وصف تحليلي وتدقيقي لمفهوم المرجعية الشعبية، هذا الأخير الذي كثير ما دارت حوله نقاشات مفاهيمية نظرا لتعقد دلالاته الميدانية من ناحية، ونظرا لأهميته الاجتماعية من ناحية أخرى، على اعتباره بوصلة سلوكات الفاعلين، وعلى غرار ذلك سنحاول تبيين أوجه التراص والتباعد بينه وبين اصطلاحات متقاربة المعنى معه خاصة في الطرح السوسيو أنتروبولوجي، ناهيك عن محاولة عرض مختلف العناصر السوسيوثقافية التي من شأنها الاحاطة التامة بهذا المفهوم خاصة في ظل قلة الكتابات التفصيلية حوله في حدود اطلاعنا البحثي.

كلمات مفتاحية: المجتمع؛ المرجعية؛ الشعبية؛ الثقافة؛ الموروث.

Abstract:

This article attempts to provide an analytical description of the concept of popular reference, and of this concept around which many conceptual discussions have taken place, because it is complex in its implications on the one hand, and its social importance on the other.

as a compass for the behavior of individuals, and we will try to clarify the aspects of convergence and contradiction in different concepts, while trying to present the various social and cultural elements that allow us to understand this concept well, especially due to the lack of detailed literature, within the limits of our research knowledge.

Keywords: society ; popular; reference; culture; Heritage.

مقدمة:

إن أهم شيء باتت تتقاسمه العلوم في وقتنا الحالي هو ضرورة الاهتمام بالمرجعيات، كونها هي الملاذ الحقيقي الذي تستند عليه معايير الفعل، إذ بها يأصل للقيم والمنطلقات الفكرية

والسلوكية العامة والخاصة، إلا أن الحديث عن المرجعيات قد يكون فضفاض اذا لم يقتصر على وحدوية في التحليل وذلك لكون المرجعيات متعددة ومتباينة.

فعند الحديث عن المرجعية الشعبية يعني أننا نكرس اهتمام بالفكر العامي والضمير الجمعي بحسب التحديد الدوركايمي، هذه الأخيرة التي نجد أنفسنا فيها أمام هوجاء من المفاهيم المتشابكة والمتراصة في أحيان أخرى الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل المحوري والإشكالي التالي:

ما المقصود الدقيق بالمرجعية الشعبية وكيف نفتك مفهومها من مفاهيم التراث والفلكلور ؟ وماهي الأدوار الوظيفية والاجتماعية لهاته المرجعية الشعبية في المجتمع؟.

المبحث الأول:مفهوم المرجعية الشعبية

إن اصطلاح . المرجعية . يعود لغة إلى "رَجَعَ"، ورجع الرجل يرجع رجوعاً ومرجعاً ومرجعة ورجعانا ورُجعى أي **انصرف إليه**، أما رَجْعاً ومَرجِعاً صرفه ورده (**عبد الله البستاني، 1996، ص 395**).

أما عن **الشعبي** أو **الشعبية** «هي صفة مشتقة من مصطلح **الشعب** الذي ألهمها المادة والروح من حيث الطرح اللغوي الشكلي والدلالي والرمزي، والشعبية صفة لكل ما يصدر عن الشعب قولا ممارسة سلوكا وتصورا للحياة والأشياء، ويندرج ضمن دائرة مفهوم الشعبية كل ما هو موجه للاستهلاك الشعبي سواء أكان ماديا أو معنويا ويختلف مصطلح شعبية عن **الشعبوية** و**الشعوبية** التي تستخدم في مناسبات سياسية»(**سعيدي محمد** ، **2011، ص 24**)، «وهكذا فإن صفة الشعبي تستخدم في سياقات متنوعة، إلاّ أنها على العموم تدل على الثقافة التقليدية بالمجتمع؛ أي السابقة للثقافة الحديثة» (**Samuli Schielke, 2002, P116**).

«وذلك على اعتبار أن فئة الأشياء الشعبية تنصهر في نسق سوسيوثقافي مركب من احداثيات ليس لها قوام محدد أو قيمة معيارية ثابتة؛ كما أن التصنيف الشعبي يدل أيضا على وضع رمزي معين في المجال الاجتماعي، وهو مترابط بوضوح مع ثقافة الطبقات الدنيا، حيث أن الأشياء الشعبية تعد تصنيفا منطقيا قائما بذاته مبني على مخطط عام لثقافة رفيعة سائدة "أصولية قويمة" في تعارض مع ثقافة مغايرة هامشية»(**Samuli Schielke, 2002, P116**).

فالحديث إذن عن مرجعية شعبية يقتضي الحديث عن منابع أصولية تنتمي إلى الفكر والسلوك غير العالم في أغلبه، وهذا ما يتماشى مع كون هذه المرجعية تستند على ما يمارسه وما يعتقده الإنسان العامي السائد في المجتمع، وليس على ما يقوم وتعتقد به النخبة أو الفئات الاستثنائية فيه، كما أنه عند الحديث عن المرجعية الشعبية كثيرا ما نجدها ترتبط بالثقافة أكثر من غيرها، لكونها هي المرجع العام والأولي الذي تنصهر فيه البقية كالدين، الأعراف العادات...وغيرها، فكلها لها انتماءاتها للثقافة لهذا يكتفي بعض الباحثين عند الحديث عن المرجعية الشعبية بالإشارة إلى **الثقافة** وكفى.

في حين قد نتساؤل هنا هل **المرجعية الشعبية هي الثقافة فقط؟**

إنّ توالد المفاهيم واحتوائها لبعضها البعض يجعل الفرد يتيه في امكانية الإشارة إلى الكل المركب وسيغنيه ذلك عن التفاصيل؟ أم تكون الاشارة إلى التفاصيل وسيغنيه ذلك عن الكل المركب؟

إن المرجعية الشعبية تكون بتحديد المنبع المحرك للسلوك، أي ما هو مرجع الأفراد في ممارساتهم الاجتماعية اليومية هل هو: الدين؟، العادات؟ التقاليد؟، الأعراف؟، القيم؟...الخ ونحن بذلك نشير إلى هذه المسميات التي تعد **مرجعيات فرعية** تشكل مجتمعة المرجعية الشعبية للبناء الاجتماعي؛ كما يمكن أن نشير إلى المرجعية الشعبية للأفراد في المجتمع على أنها **الثقافة** (الشعبية) ويكتفي بذلك قولا، وهو بهذا لا يختزل كل تلك المفاهيم المذكور آنفا دين، عادات، قيم...الخ وإنما يعتبرها متضمنة للثقافة خاصة، عندما نسير مع تعريف "ادوارد تايلور" لها والذي يشير فيه إلى «**أن الثقافة هي ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات التي يكتسبها الإنسان كعضو في جماعة**».(**عبد الله الرشدان، 2004، ص 227**).

ونحن بصدد تحديد حدود المرجعية الشعبية نجد أنفسنا أمام التزام تحديد حدود اصطلاح "**الشعبية**" التي تستثنى في طياتها مجالات أخرى تخرج عن دلالتها الموضوعية لنشير بشكل أوضح إلى أنه «تحضُر **الشعبية** فقط حين يخضع الإنسان كحامل للثقافة في تفكيره أو تصرفاته **لسلطة المجتمع أو التراث**». (**محمد الجوهري،2006، ص 26**).

«فجميع الأفراد في المجتمع مهمها كانت مستوياتهم يشتركون جميعا في كونهم هم حملة الأشكال الثقافية التقليدية، وما من جدال في أن كثافة هذا العنصر الشعبي وشدته تختلف من فئة إلى أخرى ولكن لا يوجد أناس بدونها على الإطلاق» (**محمد الجوهري،2006، ص 26**).

فالمرجعية الشعبية بالمعنى الجامع هي مجمل الأطر الفكرية والسلوكية التي تُعد مصدر إلهام الفاعلين الاجتماعين، حيث يعودون إليها عند تقرير أي ممارسة اجتماعية كانت وكونها شعبية يعني أنها تُقتبس من المنابع غير العالمة أي "العامية" التي تمتد جذورها إلى الممارسات والأفكار التقليدية في مبناها ودلالاتها، كما تمتاز بكونها شائعة وتشكل وجهة النظر العامة للبناء الاجتماعي.

المبحث الثاني: المرجعية الشعبية في ظل تداخل المفاهيم السوسيوأنتروبولوجية

إن الحديث عن "المرجعية الشعبية" يعني بالضرورة الحديث عن المحتوى العلمي لهذا المفهوم، أي ضرورة الحديث عن الأنساق الفرعية المكونة له من منطلق بنائي تساندي، وذلك ليتبين على الأقل حدود المفهوم من حيث مبناه الاستاتيكي؛ وهذا ما سنحدده فعليا في موقع لاحق من البحث، إلا أنه قبل ذلك يكون الأجدر بنا محاولة إبراز تلك التداخلات الحاصلة على مستوى المفاهيم السوسيوأنتروبولوجية القريبة من معنى **المرجعية الشعبية**.

وفي هذا الإطار نجد ذلك المد والجزر بين مفهوم الثقافة الشعبية، ومفهوم التراث الشعبي، و كذا مفهوم الفلكلور.

المطلب الأول: مفهوم الثقافة الشعبية

إن الحديث عن الثقافة الشعبية يعني الحديث عن مجمل الأطر الفكرية والحياتية التي يعيشها الأفراد الذين ينتعون على أنهم تقليديون أي أنهم يمثلون خصوصيات حياتية لمرحلة ساد فيها أسلوب التفكير البسيط والامتثال القداسي للعادات والتقاليد والأعراف.

وكما سبق لنا الذكر إنه في كثير من الأحيان عندما نتلفظ باصطلاح مرجعية شعبية يقصد مرادفا لذلك الثقافة الشعبية (المرجعية الشعبية= الثقافة الشعبية) وهذه الفكرة تأطرها مبررات ترتكز على اعتبار أن الثقافة تضم :القيم، العادات، التقاليد الدين...وغيرها، وبالرجوع

إلى الترادفية السابقة تكون المرجعية الشعبية هي مجمل القيم والعادات والتقليد والدين ...وغيرها من المكونات الجزئية الأخرى المشكلة للثقافة.

أما عن التحديد التعريفي للثقافة فنجدها مثلا في إسهامات مالك ابن نبي تعني «كل ما يتجسد في مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه (**مالك ابن نبي، ب ت، ص 83**).

فالثقافة عموما هي كل أساليب ممارساتك الحياتية من التحية الصباحية إلى التحية الليلية، فالمشي يعكس ثقافة، والكلام يعكس ثقافة، والزي وطريقة الأكل ...وغيرها من اللمسات البسيطة وغير البسيطة في حياة الفرد؛ أما عن الثقافة الشعبية التي تعد جانبا أو فرعا من الثقافة العامة للمجتمع لها من الخصوصيات ما يجعلها تتفرد في محتواها «إذ هي أساسا تعبر عن مجموعة اجتماعية معينة، فهي... كما أنها تُعرف بالثقافة الاعتيادية للناس الاعتياديين، أي ثقافة تصنع يوما بيوم خلال الأنشطة العادية والمتجددة يوميا... ولهذا يقتضي لفهمها فهم ذكاء الناس العاديين العملي»(**دنيس كوش، 2007، ص ص 124، 125**)؛ فالثقافة الشعبية بذلك هي تجليات حياتية أنتجها الفاعلون الاجتماعيون في ظل البساطة الفكرية والآداتية، أي هي المعاني التي يعطيها الأفراد للممارساتهم الحياتية العامية.

المطلب الثاني: التراث الشعبي

يعرف التراث بأنه «ظاهرة إنسانية بحتة لأنه يتلخص في ثقافة مدخرة متراكمة عن الأجيال المختلفة تنتقل من جيل لآخر ليضيف إليها وينقلها بدوره إلى الجيل القادم فهو يعني كل **ما تركه السلف للخلف من ماديات ومعنويات** ويركز خاصة على ما تركه الأجداد من منتوج فكري سواء كان مكتوبا أو غير مكتوب ويمكن الاستفادة منه في فهم القضايا الاجتماعية المختلفة» (**جمال معتوق، 2007، ص 18**).

فالتراث هو تفاعل الفرد والمجتمع والتاريخ لكون هذا الأخير جملة ما أنتجه الفرد في مجتمع ما خلال فترة تاريخية غابرة، فهو يشكل بذلك ترسانة من شأنها أن تعبر عن هوية المجتمع ووجوده وأصالته وكذا عراقته.

المطلب الثالث: الفلكلور

بداية نجد أن الفلكلور يعرف بأنه «العلم الذي يستهدف دراسة بعض **الجوانب التقليدية من ثقافة بعض المجتمعات الإنسانية** ...هذا بالرغم من أن الأثنولوجيين الأمريكيين كانوا يختزلون الفلكلور في **الجانب الشفهي فقط من الثقافة**، في حين هناك اتجاه آخر يرى أن الفلكلور هو دراسة **ثقافة الطبقات الدنيا** في المجتمع» (**محمد الجوهري،2006، ص 26**).

وقد جرت العادة بين الباحثين على أن هذا المصطلح كان ابتداعا للعالم الانجليزي **وليم تومز J .W.Thoms** ، وهي كلمة انجليزية مجزأة إلى قسمين حيث **folke** تعني الشعب أو العامة، و**lore** تعني المعرفة، وبذلك يكون المعنى العام للمصطلح هو "معارف العامة" أو "حكمة الشعب"... ويميل الكثير من الدارسين العرب لاستخدام اصطلاح التراث الشعبي أو المأثور الشعبي للدلالة على الميدان نفسه وهو من أكثر الاصطلاحات استخداما وقبولا وشمولا فهو يتضمن الجوانب المادية واللامادية للتراث بخلاف ما يعنيه اصطلاح الفن الشعبي أو الأدب الشعبي أو الفنون القولية (**عزام أبو الحمام المطور، 2007،ص ص 29، 30**) حيث هذه التسميات الأخيرة أثارتها الحاجة الى الامتثال الى التقسيم التخصصي الأكاديمي.

المبحث الثالث: التداخلات المفاهيمية

تعد الإشكالية المفاهيمية أزمة تمر بها كل التخصصات العلمية وبالأخص تلك التي سحبت علومها من غير بيئاتها، واكتفت بالنقل الجاهز للعلم بما يحمله من ترسانة مفاهيمية تحتاج أحيانا للتوضيح الكافي ليسهل توظيفها توظيفا سليما غير معتل؛ وهذا ما حاولت التخبطات العلمية ايجاد حل له تارة بالترجمة الحرفية للمفهوم، وتارة بتعريب الحروف مع الإبقاء على الدلالة الأجنبية له، وتارة أخرى محاولة ايجاد ما يقارب معناه في القاموس العربي وتعويض محله عند الإستعمالات المختلفة.

وفي مجال حديثنا عن المفاهيم الثلاث المذكورة آنفا "الثقافة الشعبية/ التراث الشعبي، الفلكلور" (وهي الاصطلاحات التي وجدنا فيها أخذا وردا في الكتب الاجتماعية و الأنتروبولوجية على وجه الخصوص) نجدها أيضا عانت هذه التداخلات لعدم وجود معيار تعريفي وتحديدي دقيق وموحد.

بداية عندما نتحدث عن الثقافة يمكن أن نقسمها الى قسميين ثقافة عامية وثقافة

عالمة، حيث الثقافة العامية هي الثقافة البسيطة التقليدية، والثقافة العالمة هي ثقافة النخبة والثقافة الرسمية، وعند الحديث عن الثقافة الشعبية التي تعنينا هي تلك الثقافة العامية على وجه الخصوص؛ ثم إن الحديث عن ثقافة عامية لا يعني انسلاخها التام من أي فكرة عالمة أو أسلوب عالم، بل يعني أن الميزة الغالبة عليها أنها عامية، ونفس الشي بالنسبة للثقافة العالمة حيث مثلا بعض الأفراد الذين يصنفون من بين فئات الثقافة العالمة وفق معايير معينة قد نجدهم هم بذاتهم تصدر منهم تصرفات وممارسات للثقافة الشعبية، فلا يمكن للفرد أن يكون شعبياً شعبية محضة ولا عالمياً عالموية محضة بل الأساس هو معيار الغلبة فقط.

ومن ناحية أخرى عندما نوجه الأنظار إلى مسمى التراث الشعبي سنجده يدل على كل المورثات التي خلفها الفرد نتيجة لحياته الاجتماعية والثقافية والبيولوجية في بيئة جغرافية معينة خلال حقبة خلت، ومن ذلك تكون الثقافة الشعبية هي أحد موضوعات هذا التراث الشعبي.

ولدراسة هذا التراث الشعبي اقتضى تبني الأطر العلمية والمنهج العلمي في ذلك، حيث سمي العلم المهتم بهذه الدراسة بالفلكلور الذي يعد حقلا خصبا من حقول الأنتروبولوجيا؛ هذا مع أنه تبقى التناقضات الكثيرة تخيم على عملية الفصل الموضوعي بين هذه المفاهيم لعدة اعتبارات أهمها الاختلاف أساسا في تصنيف المجتمعات التي على أساسها نقول أن لها ثقافة شعبية أو عالمة؟

وماهي المجتمعات التي تعنى بها الدراسة الفلكلورية؟

وإلى أي مدى يبقى معيار الكتابة هو المعيار الأوحد في التصنيف في العصر الحالي؟

وبما تفسر تلك الدراسات الفلكلورية المقامة في الأحياء الشعبية في بيئة حضرية متمدنة؟

فكل هذه الإشكالات تقتضي الفصل الحازم لها دون الإبقاء على فجوات تنفد منها دواعي التناقض؛ حيث كما سبق الذكر هناك من اعتمد معيار **"الكتابة"** بحيث كل ما هو غير مكتوب يعنى به كل من **التراث والفلكلور** وما هو غير ذلك فهو مستثنى لأن الكتابة حسبهم سمة للمجتمعات غير التقليدية، كما أن الكتابة تمنع سمة الشعبية فلا بد من توفر شرط الشفاهية في ذلك؛ ليكون بذلك وقوعنا في اشكال آخر متمثل في ذلك الصدام المجسد في التساؤل التالي: **هل يُعنى التراث والثقافة والفلكلور بالجوانب المادية واللاّمادية أم أنه معني بالجوانب**

اللامادية فقط؟ لأنه لو بحسب الكلام السابق سيكون الأجدر هو اعتمادها على **اللاّماديات** دون غيرها استنادا دائما على معيار الشفاهية المذكور أعلاه.

إن مكمن الإشكال حسب وجهة نظرنا متمثل في كون الباحثين الأوائل قد وضعوا أسسا لتحديد تلك المسميات الثلاث **"الثقافة، التراث، الفلكلور"** حيث كانت تلك الأسس لا تستوعب إلا مرحلة تواجدها وفقط؛ ومع ظهور العصرنة وتجاوز معيار الكتابة إلى الرقمنة لم تعد هذه الأخيرة "الكتابة" فيصلا جديا وموضوعيا لتصنيف المجتمعات (تقليدية/ غير تقليدية)، كما ظهرت تجليات عديدة للثقافة والتراث لم تكن مندرجة من قبل..وغيرها من المحكات التي جعلت تلك التحديدات السابقة للباحثين الأوائل تقع في مأزق الانغلاق الزمني.

مما جعلها في مواجهة دربين غير متقاطعين يكون فيهما إما إعلان نهاية الإسهام في المادة الفلكلورية لانقضاء المادة الخام المعالجة من طرفها (مجتمعات اللاّكتابة ومجتمعات الشفهية)، وإما إعادة النظر في تحديدات تلك المفاهيم لتقديم طروحات جديدة منفتحة على الواقع الراهن والفعلي.

وبطبيعة الحال من الصعب بما كان سلك الدرب الأول لأن فيه إعلان عن وفاة العلم ومحدوديته، لذا الأجدر هو سلك الدرب الثاني وهذا ما كان فعلا «حيث بعد أن كانت البدايات الأنتروبولوجية ترتكز على المجتمعات البدائية أو البربرية بدأ هذا الأمر يتغير منذ زمن ليس بالقليل، حيث أنها بدأت تهجر حقولها الأولى وصارت تركز اهتمامها على الطوائف ذات **الأحجام الصغيرة** التي ظلت محافظة على العلاقات الشخصية المتبادلة بين أبنائها، حيث تطغى **العلاقات المباشرة والقرابية**، وحيث لا تزال **التقنيات على بساطتها** لكنها أخذت تولي اهتماما للجماعات المدنية فضلا عن الطوائف الإثنية والدينية وجماعات الجوار والحي» **(عزام أبو الحمام المطور، 2007،ص ص 29، 30)**.

وبذلك نلاحظ بداية ظهور معايير جديدة تحدد طبيعة موضوع الالتفاف بين الثقافة والتراث والفلكلور ومن ثمة المرجعية الشعبية، الأمر الذي يحيلنا إلى ضرورة تجاوز العلاقة الترادفية **"الثقافة = تراث= فلكلور = مرجعية شعبية"** التي تغيب فيها الدقة والجدية التكافئية إلى العلاقة الاحتوائية التي يحضر فيها احترام حدود المفهوم ونطاقه وكذا طبيعة الخصوصية التي أتى أساسا لتغطيتها.

المبحث الرابع: الأنساق الفرعية للمرجعية الشعبية

إن اصطلاح المرجعية الشعبية برغم شموليته اللفظية إلاّ أنه يعد اصطلاحا مركبا من حيث واقعيته العملية في المجتمع، وذلك لكون المرجعية الشعبية ليست موحدة المنبع بل هناك عدة روافد تصب كلها في ذات هذا المصطلح.

كما أن المجتمع ليس في منأى عن ايجاد مرجعيات له تحفظ دوام الكمون والاستقرار الاجتماعي، إذ لابد على المجتمع أن يستند في ممارساته الاجتماعية والحياتية على ضوابط تحدد قوالب الفعل لديه، وهو المجال الذي شغل جزء من اهتمامات السوسيولوجي "ماكس فيبر" بمسمى موجهات الفعل الاجتماعي، والسوسيولوجي "تالكوت باسونز" بمسمى آليات المحافظة على النمط.

وعلى العموم إن الأنساق الفرعية المكونة للمرجعية الشعبية تعد أنساقاً متنوعة ومتداخلة في بعض معانيها، وسنحاول من خلال الآتي تقديم أبرزها مع توضيح الفروقات أو التداخلات التي قد تتواجد بين بعض مفاهيمها.

المطلب الأول: المعتقدات الشعبية croyances:

تعرف المعتقدات «بأنها جملة ما يؤمن به الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي ...وهي ما ينعكس في الأفكار والمواقف الإنسانية أو ما يعرف بالأفكار الأساسية» (**فاروق أحمد مصطفى وآخرون، 2008، ص 34**)؛ وتعرف أيضا «بأنها حكم يتناول الواقع ويرتكز إلى حد ما على الإيمان ... وغالبا ما يلبس المعتقد هالة دينية أو تقديسية» (**عزام أبو الحمام المطور 2007، ص ص 29، 30**).

فالمعتقدات بذلك هي جملة المنطلقات الفكرية التي يعتقد الفرد بأصحيتها بالمقارنة مع منطلقات أخرى مطروحة أمامه والتي تتميز بنوع من الثبات النسبي إذ يصعب تغيرها خاصة تلك التي تكتسي الطابع الديني؛ والمعتقدات يكتسبها الفرد بحكم التنشئة الاجتماعية والممارسة الحياتية والمؤسسات الاجتماعية وقد تكون نابعة من ديانة معينة أو من فلسفة أو من أطر ميتافيزيقية وغيرها من الأطر التي يقتني منها الفرد جملة معتقداته الفكرية والممارستية.

المطلب الثاني: العادات والتقاليد

يقصد بالعادات الاجتماعية «بمجموعة الأفعال والأعمال التي تنشأ بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بظاهرة سلوكية تساعد في تنظيم الجماعة» (**عبد المجيد الشاعرو آخرون، 2000، ص 155**) «كما تشير العادة في الاصطلاح إلى أشكال التفكير والسلوك المستقر الذي يقوم به الفرد في المجتمع، حيث أن مفهوم العادة الاجتماعية يتعلق بمسألة التكرار لعملية معينة أو نشاط محدد بالطريقة الواعية أو اللاواعية فقد عبر عنها بيار بورديو **Pierre Bourdieu** بمفهوم **Habitus** وعرفها بـ " النزوع الشخصي الاجتماعي" لكونها تشير إلى عملية إنتاج الأفكار الاجتماعية ثم إعادة إنتاجها مع تغير الظروف الاجتماعية حيث يستمر هذا النشاط مع استمرارية تطور النسق الاجتماعي» (**خواجة عمر عبد العزيز، داود عمر، 2011، ص 309**).

وفي تعريف آخر يحاول إبراز وجه الربط بين العادة والتقليد حيث يشير الى أن العادة «هي صورة من صور السلوك الاجتماعي استمرت فترة طويلة من الزمان واستقرت في مجتمع معين حيث أصبحت تقليدية ... والعادة ما اعتاد الناس على القيام به من السلوك في مختلف الأحوال ومنذ فترة طويلة وهي سلوك متوقع في الظرف المحدد وتتضمن العادة التكرار والقبول العام»(**عزام أبو الحمام المطور، 2007،ص ص 29، 60**).

وتقسم العادات الاجتماعية إلى أربع أنواع هي(**عبد المجيد الشاعرو آخرون، 2000، ص 155**):

. **العادات الثقافية:** وهي عادات لا يجبر الإنسان على القيام بها ولا يترتب أي عقاب اجتماعي على تركها مثل تغيير اللباس.

. **العادات التقليدية "التقاليد"**: وهي عبارة عن ممارسات اجتماعية مكتسبة متوارثة من جيل الى آخر ولها مكانتها عند الجميع في المجتمع وهي تلعب دورا هاما في عملية الضبط الاجتماعي لا تقل أهمية عن القوانين المكتوبة.

وتعتبر التقاليد تجسيدا للقيم التي تلتزمها الجماعة وتتفاخر بها على غيرها من الجماعات وتظهر التقاليد في كثير من المناسبات اليومية؛ «فالتقاليد إذن ما هي إلا عادات انتقلت عبر الأجيال حتى فقدت مضمونها ولم يعد من الممكن أحيانا التعرف على معناها الأصلي إنما يمارسها الإنسان لمجرد المحافظة عليها معتقدا أن التمسك بها يضمن له المحافظة على هويته الثقافية....إلا أن العادة تتغير بتغير الزمان والمكان في حين أن التقاليد تعد أكثر تباثا وجمودا منها» (**خواجة عمر**

عبد العزيز، داود عمر، 2011، ص 310).

بذلك يتبنى الفرد ممارسة معينة يدأب على مزاولتها في جو اجتماعي وتحت وطأة الضمير الجمعي فتصبح عادات لتلك الجماعة، وبمرور حقبة من الزمن تتوالى فيها أجيال يدأبون هم أيضا على ممارساتها في نوع من التقليد لمن سبقهم فنكون هنا أمام ما يسمى بالتقاليد، وهذا ما يوضح مكمن العلاقة والاختلاف بين كل من العادة والتقليد.

المطلب الثالث:القيم والمعايير:

تعرف القيم بأنها «عبارة عن تصور صريح أو ضمني مميز للفرد أو الجماعة يتعلق أساسا بما هو مرغوب فيه» (**أسامة عبد الرحيم علي، 2005، ص 18**) كما تُعرف أيضا بأنها «محكات للتقويم يستعين بها الشخص في إضفاء نوع من التفضيل على أساليب معينة أو غايات بعينها» (**كامل محمد عويضة ، بيروت، 1996، ص 177**).

وهي في تعريف آخر «تعتبر مجموعة ضوابط سلوكية تحدد تصرفات الأفراد والجماعات ضمن مسارات معينة إذ تصب في قالب ينسجم مع أعراف المجتمع» (**تيجاني ثريا، 2011،ص 60**)؛ وفيما يخص التحديد التعريفي للمعايير نجدها تعرف على أنها «تكوين فرضي بمثابة ميزان أو قاعدة أو إطار مرجعي للسلوك الاجتماعي النموذجي الذي يتمتع بالقبول الجمعي» (**حامد عبد السلام زهران 6، 2000، ص 143**)كما تعرف المعايير بأنها «طرائق للعمل والوجود والتفكير محددة ومعاقب عليها اجتماعيا» (**ر.بودون و ف. بوريكو ، 1986،ص 514**)

وهنا نجد التكامل بين كل من المعايير والقيم الاجتماعيين، حيث أن القيم هي الأحكام النهائية التي يتبناها الأفراد في سلوكاتهم الاجتماعية، والمعايير هي جملة الأحكام التي على أساسها يُفرق ويقرر الأفراد بين ما يمكن تبنيه وما يجب إبعاده بناء على انتقاءات محددة بمنطلقات واضحة نُطْلق عليها مسمى المعايير.

المطلب الرابع: الأمثال الشعبية:

تعد الأمثال الشعبية جزء من المرجعية الشعبية للأفراد حيث كثيرا ما نراهم يستندون عليها لتأكيد وجاهة أفعالهم الاجتماعية، حيث يعرف المثل «بأنه قول مأثور تظهر بلاغته في ايجاز لفظه وإصابة معناه وتعرف الموسوعة البريطانية المثل بأنه قول بليغ محكم يستخدم في نطاق عام اذ أنه من التعبيرات المتداولة بين الناس» (**جمال طاهرو داليا جمال طاهر، ب ت، ص 25**).

المطلب الخامس:الدين الشعبي

إن الدين بمعناه العام يعد جملة القواعد الربانية التي تُسيير الأفراد في أمور دنياهم وآخرتهم بنوع من التوجيهية القداسية التي تختلف من دين إلى آخر، حيث عند الحديث عن الدين الإسلامي نجد تلك القواعد التي تتمثل أساسا في آيات القرآن الكريم كمصدر أساسي أول والسنة النبوية الشريفة كمصدر أساسي ثاني.

هذا مع العلم أنّ الممارسة الاجتماعية للدين تجعله عرضة للاختلاف في أشكال الفعل المجسدة ضمنه، إذ أن هذا الاختلاف كامن أساسا في منطق فهم هذه الأحكام الدينية ناهيك على أن المجتمع بطبيعته يحوي العالم والعامي ولكل منهما ترسبات في هذا الموضوع، لذا كثيرا ما نجد تلك الفجوة بين أحكام الدين والممارسة الدينية الواقعية للأفراد؛ فالدين أصيل ومتسامي والممارسة الدينية تعتريها محاولات الخطأ والصواب، التطرف والاعتدال، المرونة والتصلب....وغيرها من أشكال الفهم التي قد تتواجد عليها الممارسة الدينية.

وعلى العموم عند التعريف العام للدين نجده يشار إليه على أنه الطريقة التي يحقق بها الإنسان علاقاته مع الطاقات فوق الإنسانية أو الخارقة أو الخفية التي يعتقد في حمايتها (**عبد الله الخريجي ، 1990، ص 32**) في حين نعني بالدين الشعبي هو الدين الذي يعطي العلاج لكل المشاكل الاجتماعية (**محمد أحمد بيومي، 2003 ص 252**)

إذ المقصود بالدين الشعبي هو طريقة معايشة الأفراد للأحكام الدينية واقعيا إضافة إلى تمثلاتها لديهم ومنظوراتهم المختلفة حولها، وكذا شكل توظيفهم لها في مختلف أطر حياتهم اليومية.

المبحث الخامس: الأدوار الوظيفية للمرجعية الشعبية في النسق الاجتماعي

إن المرجعية الشعبية بما تحويه من أنساق متكاملة المبنى تسعى إلى الحفاظ على مبدأ التوازنية الاجتماعية من خلال جملة أدوارها المتمثلة فيما يلي:

- الحفاظ على الهوية التي تجتمع عليها الجماعة الإنسانية.
- «تلعب المرجعية الشعبية أيضا دورا كبيرا في تنظيم الحياة الاجتماعية والبناء الاجتماعي وتمكن الفرد من إشباع حاجاته بطريقة مشروعة يرضى عنها وبالتالي تؤدي إلى تنظيم المجتمع وبقية العلاقات الاجتماعية» (**عبد المجيد الشاعرو آخرون، 2000، ص 156**).

- تُزود المرجعية الفرد بمعاني الأشياء والأحداث بحيث تمكنه دائما من أن يستمد منها مفهوماته الأساسية فيستطيع من خلالها أن يجدد ما هو طبيعي وما هو غير طبيعي وما هو منطقي وما هو غير منطقي...الخ (**حسين عبد الحميد أحمد رشوان، 2005، ص56**)
- تسعى المرجعية الشعبية إلى توثيق الصلة بين الفرد ومجتمعه ببسط التماسك الجمعي من خلال الالتزام بمضامين هذه المرجعية.
- تعمل المرجعية الشعبية على تحقيق الكمون والاستقرار الاجتماعي من خلال الحفاظ على النمط السلوكي السائد في المجتمع.

تمكن المرجعية الشعبية الأفراد من إمكانية التنبؤ بالأفعال الاجتماعية الممارسة في التفاعلات الحياتية.

خاتمة:

تعد المرجعية الشعبية أحد المفاهيم التي تختص بمناقشته علم الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا على وجه التخصيص لا الحصر، متباينين في طرح مضامين أنساقه الفرعية نظرا لاحتكاك المصطلح بمصطلحات توأمة كالثقافة والفلكرور ...وغيرهما.

إلا أن ما لا يختلف فيه هو دور هاته المرجعيات في تأصيل وتوجيه السلوكات انطلاقا من محتواها الذي قديتوافق مع المنطق العقلاني وقد لا يتوافق، لكونه ليس مستهلا من علم منهجي مأسس على قواعد المنطق وإنما سليل خبرة عمومية إنسانية تختلط فيها عصارات العقول مجتمعة، مكونة بذلك مخزونا مرجعيا أصوليا، المهم فيه هو دوره القويم في قولبة وتوحيد السلوكات نحو ذات الهدف التنسيقي في المجتمع مما يخلق لاحقا الوحدة والانسجام ويدرأ مكامن الخلل الوظيفي الى أبعد ما يطيق واقعه، وهذا مرمى كل المجتمعات مهما اختلفت مرجعياتها وجغرافيتها.

قائمة المصادر والمراجع:

أ_ الكتب:

1. أسامة عبد الرحيم علي، (2005)، القيم التربوية في صحافة الأطفال، إتراك للنشر والتوزيع مصر .

2. تيجاني ثريا، (2011)، القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري، دار الهدى، الجزائر.

3. جمال طاهرو داليا جمال طاهر،ب ت، موسوعة الأمثال الشعبية، الكتب العربية، ب ب

4. حامد عبد السلام زهران،(2000)، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب،القاهرة،، ط 6.

5. حسين عبد الحميد أحمد رشوان،(2005)، علم الاجتماع النفسي، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية.

6. دنيس كوش، (2007)، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

7. سعيدي محمد ،(2011)، "مستقبل الثقافات الشعبية العربية"، المؤتمر الدولي السادس عشر حول الثقافة الشعبية "واقع ورؤى" جامعة فلادلفيا الثقافية، الأردن .

8. عبد الله الخريجي، (1990)، علم الاجتماع الديني، ط2، المجمع العربي السعودي، السعودية.

9. عبد الله الرشدان، (2004)، علم اجتماع التربية، دار الشروق، الأردن.

10. عبد المجيد الشاعرو آخرون، (2000)، علم اجتماع الطبي، دار اليازوردي، عمان.

11. عزام أبو الحمام المطور، (2007)، الفلكلور، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن.

12. فاروق أحمد مصطفى وآخرون،(2008)، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

13. كامل محمد عويضة، (1996)، علم النفس الاجتماعي والعلوم الأخرى ،دار الكتب العلمية، بيروت.

14. مالك ابن نبي،ب ت، شروط النهضة، تر: كمال مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق.

15. محمد أحمد بيومي، (2003)، علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الاسلامي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

16. محمد الجوهري، (2006)، مقدمة في التراث الشعبي، دون ذكر دار النشر، القاهرة.

ب_ المعاجم:

17. عبد الله البستاني،(1996)، معجم لغوي مطول، البستان، مكتبة لبنان.

18. ر.بودون وف. بوريكو، (1986)، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، تر: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .

ج_ المجلات:

19. Samuli Schielke، (2002)، "ما الشعبي في المعتقدات الشعبية"، تر: ابراهيم فتحي، مجلة فصول، ب ب، العدد 60.

20. خواجة عمر، داود عمر، الدين، (2011)، «التاريخ ،الثقافة أي علاقة ؟نحو مقاربة سوسيولوجية للمعطى الجزائري»، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، العدد 18.

21. جمال معتوق،(2007)، "التراث وكيفية الاستعانة به من أجل بناء سوسيولوجية مغربية" مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الأغواط العدد 1.